

---

كافكا مع الحياة في براغ، وكيف يمكن أن تعتبر الروايات ذاتها في باريس بوصفها التعبير الغامض عن عالم المؤلف الذاتي حصراً؟. هل يعني ذلك أن القوة الكامنة للإنسان وعالمه التي يُطلق عليها كافكاوية، تتحول إلى مصائر عيانية على نحو أسهل في براغ منه في باريس؟

هناك نزعات في التاريخ الحديث تنتج الكافكاوية في البعد الاجتماعي الكبير: التركيز المتدرج للسلطة التي تنزع نحو الاستلاء؛ تحول النشاط الاجتماعي إلى بيروقراطية مما يجعل من المؤسسات كلها متاهات بلا حدود؛ ومن ثم محو شخصية الفرد الذي ينتج عن هذا التحول.

لقد أوضحت الدول الشمولية، بوصفها تركيزاً أقصى لهذه النزعات، العلاقات الوثيقة بين روايات كافكا والحياة الحقيقية. لكننا إذا كنا لانعرف في الغرب أن نرى هذه العلاقات، فليس لأن المجتمع الذي يوصف على أنه ديمقراطي أقل كافكاوية من مجتمع براغ اليوم فحسب، بل لأننا فقدنا هنا، فيما يبدو لي، معنى الواقع بشكل قطعي.

ذلك أن المجتمع الموصوف بالديمقراطي يعرف هو الآخر أيضاً العملية التي تشيء الفرد وتجعل المجتمع بيروقراطياً؛ لقد غدا الكوكب كله مسرحاً لهذه العملية. وإذا كانت روايات كافكا هي التعبير الخيالي والشعري عن هذه العملية، فإن الدولة الشمولية هي تعبيرها الشري والمادي.

ولكن لماذا كان كافكا أول روائي يدرك هذه النزعات، التي لم تظهر مع ذلك على مسرح التاريخ إلا بعد موته؟.